

منهج البحث عن الحقيقة من أجل عالم أفضل عند كارل بوبر

Karl Popper's method of searching for truth for a better world

صاولة إبتسام<sup>1</sup>، موهوب آمال<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 02)، saoula.ibtisem@univ-alger2.dz

<sup>2</sup> جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 02)، amel.mouhoub@univ-alger2.dz

مخبر الانتماء: إشكالية البحث العلمي في بناء المجتمع العربي الحديث والمعاصر الجزائر  
أنموذجا

تاريخ الاستلام: 2023 / 02 / 15 تاريخ القبول: 2023 / 06 / 06 تاريخ النشر: 2023 / 06 / 30

### Abstract:

The Austrian epistemologist Karl Raymond Popper is the owner of contemporary rationalism, who caused a wide-ranging intellectual uproar in the field of knowledge and science, as he reformulated science and the world in a new formulation of episteme according to his approach, the principle of denial, which he applied in various fields, including science and knowledge, history science (historicism), psychology, politics The social sciences....., thus calling for the refutation of all false ideas, for every knowledge that does not accept criticism and does not remain steadfast is false. In his book The Open Society and its Enemies in search of a better world away from Platonic idealism, Hegelian dogmatism, prophecy and false Marxism.

المؤلف المرسل: صاولة إبتسام

البريد الإلكتروني: saoula.ibtisem@univ-alger2.dz

**Keywords:** Karl Popper; world; better; search; method; the truth.

### الملخص:

يعد الابستيمولوجي النمساوي كارل ريموند بوبر (1902-1994م) Karl Raimund Popper ممثلاً للعقلانية المعاصرة التي أحدثت ضجة فكرية واسعة النطاق في مجال المعرفة والعلم، حيث أعاد صياغة العلم والعالم صياغة جديدة أبستيميا وفقاً لمبدأ التكذيب الذي طبقه في مجالات شتى، مثل التاريخ، وعلم النفس، والسياسة، والعلوم الاجتماعية.....، داعياً إلى دحض كل الأفكار الزائفة، حيث أن كل معرفة لا تقبل النقد تعتبر، مزيفة وقد قدم نقداً لاذعاً لما يسميه بالتاريخانية وأنصارها الذين يدعون النبوة الزائفة بلغته، داعياً إلى عالم مفتوح مخلصاً للديمقراطية، هذا ما يتجلى في كتابه "المجتمع المفتوح وأعداؤه"، بحث فيه عن عالم أفضل بعيداً عن المثالية الأفلاطونية والدوغمائية الهيجلية والنبوة والماركسية المزيفة.

الكلمات المفتاحية: كارل بوبر؛ عالم؛ أفضل؛ بحث؛ منهج؛ حقيقة.

### 1. مقدمة:

يتم نقاد المجتمعات بالفساد في جوانبه العديدة منها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتربوية، والأخلاقية..... وغيرها، ويعد كارل ريموند بوبر الابستيمولوجي النمساوي من أهم فلاسفة القرن 20 م الذين ناضلوا من أجل تحقيق عالم أفضل حيث يرى أن "كل من يحيا يبحث عن عالم أفضل"، وهو واحد من أهم فلاسفة السياسة والاجتماع، وان كانت فلسفته أخذت طابعاً علمياً إبستيمولوجياً إلا أنها امتدت إلى العديد من المباحث الفلسفية قصد معالجتها بنزعة عقلية تستوحي روح العلم الخالصة ومنهجه القائم على المحاولة واستبعاد الخطأ

وفقا لمعياره الجديد. ومنهج العلم البوبري يسمى المنهج الفرضي الاستنباطي ناهيك عن المنهج التجريبي الاستقرائي الذي كان سائدا. ولقد اهتم بوبر بالنوع الأول الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعرفة وكيفية نموها، حيث أن معرفتنا تنمو كلما تقدمنا من مشكلات قديمة إلى مشكلات جديدة وذلك عن طريق رفض نظرياتنا وبصفة أدق توقعاتنا، وفي هذا السياق يقول: "من خلال المناقشة العلمية ينشأ العلم".

لقد طبق منهجه العلمي هذا في العديد من المسائل المتعلقة بالإنسان منها علم التاريخ أو ما يسميه التاريخانية، فوجه نقده ضد أنصارها الذين يدعون النبوة ودعا الإنسان أن يبقي عقله مفتوحا، ومن هنا كان داعيا مخلصا للديمقراطية الليبرالية من خلال فلسفته السياسية المفتوحة المرتكزة على ابستمولوجيته وهو ما نجده في كتابه المجتمع المفتوح وأعداؤه الذي قام فيه بتطبيق أفكاره العلمية على النظرية السياسية والاجتماعية. وهذا ما تناوله ورقتنا البحثية، حيث حاول نقد أعداء المجتمع المفتوح أمثال أفلاطون المستبد، وهيغل الدوغمائي، ونبوة ماركس المزيفة، ومنه يمكننا طرح العديد من التساؤلات الفلسفية منها:

- ماذا علينا أن نفعل لنجعل عالمنا أفضل ولو بالشئ القليل؟ فعالمنا رائع ولا يجب أن نسمح للإيديولوجيات السائدة والقائلة بأننا نعيش في عالم شرير من أن تثبط عزيمة شبابنا لدرجة العجز عن الحياة، لأن ذلك مجرد أكذوبة، ليكون الإصلاح والتغيير هو حلنا.

- إلى أي حد استطاع بوبر أن يتعامل مع الحوادث التاريخية بمنظور منهجي علمي  
ابستيمي؟

## 1.2 نظرية المعرفة عند كارل بوبر:

1.1.2 معيار التأكيد وقابلية التأكيد: يقول بوبر: "يجب علينا أن نميز بوضوح بين قابلية التأكيد والتأكيد. لقد سبق أن قدمنا قابلية التأكيد كمعيار للخاصية الأمبيريقية لنسق من القضايا أما بالنسبة للتأكيد فيجب علينا أن نقدم قواعد خاصة تحدد لنا تحت أي شروط ينظر للنسق على أنه مكذب". (كارل بوبر، تر: ، ماهر عبد القادر محمد علي، بدون تاريخ، ص: 117). وبالتالي بأن الفرق بين التأكيد وقابلية التأكيد يكمن في النقطة المحورية التالية:

• إنَّ مبدأ قابلية التأكيد ينطبق على القضايا التي تكون ذات محتوى تجريبي يمكن لنا اختبارها أما بالنسبة للتأكيد ونعني به مجموعة القواعد والشروط المنهجية التي وضعها بوبر والتي يتم عن طريقها تأكيد نسق علمي أو قضية علمية دون أخرى، أي أن قابلية التأكيد في نظره تعد أساساً منهجياً يتم عبره التمييز بين العلم و اللاعلم، فالقضايا التي نستطيع إخضاعها للتأكيد تعتبر علماً أما القضايا غير القابلة للتأكيد فتعتبر لا علم، لتكون قابلية التأكيد عملة ذات وجهين:

• وجه منطقي متعلق بالقضايا العلمية واتساقها الداخلي .

• وجه آخر تجريبي يمكننا من اختبار هاته النظرية.

وبالتالي نكون أمام نتيجتين هما:

1. أما إثبات هذه النظرية وبالتالي تصبح نظرية علمية مؤقتة

2. أو تصبح مفندة ويتم استبعادها.

بالإضافة إلى تأكيده على العملية التكاملية بين المحتوى المعرفي، بحيث كلما زادت درجة احتمالها وكلما زاد المحتوى المعرفي بالضرورة تنقص درجة احتمالها ومنه نصل إلى أن إنتاج النظرية بناء التأكيد يتمخض عنه العديد من النتائج منها أن ليس كل نظرية نصل إليها يمكن اعتبارها معرفة مطلقة.

## 2.2 نمو المعرفة:

تتصف المعرفة عند بوبر بالموضوعية المستقلة عن الذات العارفة، متجاوزا بذلك الطرح الكلاسيكي المهيمن منذ الفترة اليونانية (أرسطو وصولا إلى راسل في الفلسفة المعاصرة)، وتجاوزته للطرح الحديث لمسألة مصدرية نتج عنه توجيهين رئيسين: اتجاه يقر بأسبقية العقل على التجربة من منطلق وجود معارف قبلية ومثل هذا الاتجاه العقلي رونييه ديكرت كما هو معروف، بينما الاتجاه التجريبي فيرى العكس من منطلق أن العقل صفحة بيضاء تخط فيه التجربة كما تشاء والذي مثله العديد من الفلاسفة منهم بيكون، حيث يرفض بوبر اختزال التفكير أو المعرفة في إطار دون آخر عن طريق الإقرار برفض منطق الأسبقية، لأن الأسبقية بدورها تختزل التفكير في إطار ضيق وتؤدي بدورها إلى التعصب، والإنسان ذو البعد الواحد بلغة ماركيز.

سيرورة المعرفة عند كارل بوبر:

2.المعرفة وليدة مشكلة.

1. تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة انطلاقا من نظريات تفسيرية .

2. لا تسعى للوصول إلى الحقيقة المطلقة من منطلق التسليم بعدم معصومية الإنسان من الخطأ.

3. معرفة تحتكم للنقد من أجل استبعاد الخطأ.

يرى بوبر أن المعرفة تنمو عن طريق النقد الذي بالضرورة يستبعد الخطأ لأن كل معارفنا هي نتاج لتخمينات، وبالتالي فإن الإنسان بدوره يصل إلى المعرفة التي تقترب من الصدق أو الصحة انطلاقاً من عاملين أساسيين هما: التعلم من الخطأ و(العقلانية النقدية).

هذا ما أكده فورسيه: أنّ العقلانية النقدية التي تبناها بوبر تساعدنا على تنظيم فكرنا ويسمح لنا بالتعبير عن معارفنا وإشراك الآخرين فيها، كما يوحي إلينا بفرضيات أي باحتمال وجود بعض الوقائع. (ناصر هاشم، 2015، ص: 229)

يرى بوبر أن المعرفة هي نتاج مشكلة تم عرضها على أصعب الاختبارات إذا صمدت تصبح نظرية علمية مؤقتة، تبقى مفتوحة على النقد العقلي الذي يساعدنا على استبعاد الخطأ، والذي يساهم بدوره في خلق مشكلات أخرى، وبهذه الطريقة يتم نمو المعرفة. وهذه فكرة تنم عن تأثيره بالداروينية التي تهدف بالضرورة إلى استبعاد الفرضيات الخاطئة مع التأكيد على الفرضيات الصحيحة. (كارل بوبر، تر ماهر عبد القادر محمد على، بدون تاريخ، ص: 40)

ومنه توصل بوبر إلى:

إنّ العلاقات بين النظريات العلمية تتأسس على الانفصال وليس على الاتصال والتراكم أي أنه يحدث التفاضل بين النظريات، إذا تمكنت النظرية العلمية من تدارك نقائص كل نظرية سابقة استطاعت تفسير وقائع لم تستطع النظرية السابقة تفسيرها وهنا فقط يمكننا القول بأن هذه النظرية هي أقوى من سابقتها ففيزياء

اينشتاين تمكنت من أن تحل محل فيزياء نيوتن من خلال تأسيسه النسبية التي ساهمت في إعادة بلورة قوانين الفيزياء. (روني بوقريس، تر ، سعيد بوخليط، 2005، الصفحات 73-74)

### 3. المقاربة الاستمولوجية البوبرية للعلوم الاجتماعية:

1.3 العلوم الاجتماعية عند كارل بوبر: نقترح الشكل الذي بحسبه تأخذ العلوم الاجتماعية مكانها في النسق الاستيمولوجي لبوبر ولهذا فإن أول سؤال يتبادر إلى الذهن عند التفكير في ذلك هو ما مدى علمية العلوم الاجتماعية من وجهة نظر الاستمولوجيا البوبرية!؟

قد تكون الإجابة البوبرية مفاجئة فهو يدافع عن أطروحة مفادها أن العلوم الاجتماعية ليست علمية فقط بل أكثر من ذلك هي تكشف أساسا عن اعتماد المنهج نفسه مثل العلوم الطبيعية وسيتجلى ذلك من خلال عرض الموقف البوبري بما يعنيه بالعلوم الاجتماعية لنقف بعد ذلك عند ما يخلق تقاربا بين هذه العلوم والعلوم الطبيعية، إذا فما الذي يقصده بوبر بالعلوم الاجتماعية؟

إن طرح سؤال كهذا لا يحظى برضا كارل بوبر لأن الدقة بالنسبة إليه لاحقة للوضوح ويتجلى هذا في قوله: "الوضوح في ذاته له قيمة، أما الدقة اللسانية فهي بمثابة شبح والمشاكل المرتبطة بمعاني الكلمات وتعريفها تظل من غير أهمية". (كارل بوبر: تر ، احمد مستجير ، 1999، ص: 22)

### 2.3 خصوصية العلوم الاجتماعية عند كارل بوبر:

بالرغم من قوله بواحديّة المنهج فإن بوبر لا يجد بديلا، حتى أنه لم يكن بمقدوره أن ينفي وجود اختلافات في ما بين العلوم الطبيعيّة والاجتماعيّة، فالإنسان ليس هو الذرة وهو لا يسلك مثلها وهو ما تنعكس آثاره على مستوى التجريب والدقة، إذ يصبح ذلك صعبا بالنظر إلى الطبيعة المتحوّلة والمعقدة للعلاقات الاجتماعيّة، فكون الإنسان كائنا مفكرا أي كائنا يؤثّر ويتأثّر بنظريات هو ما يجعل الواقع الاجتماعيّ ديناميا وغير قابل للتنبؤ به، إلا أن هذه الاختلافات لا ينبغي أن تقود بحسب بوبر إلى التخلي عن القول بالمنهج الواحد بل علمها أن تقود العلوم الإنسانيّة إلى إقامة تحليل خاص ومركز على الفرد. (كارل بوبر، تر: عبد الحميد صبرة، 1992، ص: 135)

### 1.2.3 طابع التجريب المعقد:

الاختلاف الأول: هو مشكل التكميم لكونه من خصائص العلوم الطبيعيّة الفيزياء على الخصوص التي تضيّفي بشكل كاف الطابع الصوري على نظرياتها لتسمح بمقاربة كمية وهو التكميم هو الذي يسمح ببلوغ تنبؤات أكثر دقة، أما العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة فإن هذا المشكل يبقى ويظل عسيرا وشائكا، لكن بعض هذه الصعوبات يمكن أن تحل وقد تم حلها بالفعل عبر استعمال المناهج الإحصائيّة كما في علم الاقتصاد، لأنّ معاملنا هنا هي ذاتها في أغلب الحالات متغيرات تتبدل بسرعة، فبوبر يشير إلى اتجاه للبحث يسير صوب الإحصاءات لأجل تكوين وبناء نماذج بيد أن ذلك يظل عاما ولا يمنح برنامجا مرتبطا بالطابع الإحصائي للبحث في العلوم الاجتماعيّة، فمنذ "بؤس النزعة التاريخانيّة" الذي كتبه في الأربعينيات ظهرت اتجاهات حاولت معالجة هذا المشكل (أي مشكل الصورنة).

ومع ذلك تبقى صعوبات أكثر عمقا ملازمة للعلوم الاجتماعيّة مثل مشكلة حركيّة الواقع التي تجعل التجريب صعبا، ولهذا علينا التخلي في العلوم الاجتماعيّة عن

البحث عن شروط ثانية كتلك التي تتمسك بها النزعة التاريخانية كما يقول بوبر: "والحق أن هناك من الظروف الممكنة ما لا حصر لها ونحن نستطيع امتحان الممكنات في بحثنا عن شروط الاتجاه الحقبة ولابد أن ندعو إلى مخيلتنا دائما الشروط التي يختفي الاتجاه عند تحقيقها ولكن هذا بعينه ما لا يقدر التاريخاني على فعله، إذ إنه لا يسمح لنفسه بتخيل الظروف التي يختفي الاتجاه بتحقيقها، فالتاريخاني لا يبني عن تعنيف أولئك الذين يعجزون عن تصور التغيير في عالمهم الصغير ولكنه مفتقر هو نفسه إلى هذا التصور لأنه عاجز عن التغيير في شروط التغيير، ولكي يتجاوز بوبر مشكلة التجريب في العلوم الاجتماعية و الإنسانية يقترح منهج تحليل يراه جديرا بتقديم الحل وهو تحليل الموقف. (كارل بوبر، تر: عبد الحميد صبرة، 1992، ص: 135)

### 2.1.3 تحليل الموقف:

إن صعوبة التجريب في العلوم الاجتماعية عائد إلى كون الإنسان كائن مفكر، وبالتالي يؤثر في النظريات ويتأثر بها، فتظهر وكأنها تجعل من الوضعيات الاجتماعية وضعيات يتعذر حلها، لكن على الرغم من ذلك يبقى مقنعا أنها على العكس من ذلك تعد أكثر بساطة من الوضعيات الفيزيائية الملموسة. بالنسبة إليه إمكانيات التجربة ما هي إلا اختلاف في الدرجة وهناك اختلاف أكثر عمقا وأكثر أهمية وهو أن العلوم الاجتماعية هي أقل تعقيدا من الفيزياء، لأنه داخل أكثر الوضعيات الاجتماعية - إن لم تكن كلها- هناك مكون للعقلانية. وقد نندهش بهذا الإقرار الذي يتم تكذيبه من خلال ما نراه يوميا وهو ما يدققه بقوله: "من البديهي ان الكائنات الإنسانية لا

تتصرف تقريبا بطريقة عقلانية أي أنها تتصرف بالاستعمال الأقصى لكل المعلومات التي في متناولها لبلوغ أهدافها، إلا أن الكائنات الإنسانية تتصرف على الأقل بنسب متفاوتة عقلانيا وهذا يسمح ببناء نماذج بسيطة بشكل مقارن لأفعالها وردود أفعالها عبر استخدام نماذج التقريب بالرغم من الصعوبة التي تتحقق بمبدأ العقلانية". رغم من ذلك فإن هذا المبدأ يسمح للعلوم الإنسانية بإقامة المنهج الصفري أو المنهج في درجة الصفر، وكما يقول بوبر: "نستطيع في العلوم الاجتماعية أن نستخدم منهجا يمكن تسميته منهج التركيب المنطقي أو المنهج العقلي وربما أطلقنا عليه أيضا عبارة المنهج الصفري". (كارل بوبر، تر: يمني طريف الخولي، 2003، ص: 203)

إذا فتأكدته واضح على أن العلوم الاجتماعية والطبيعية تتبع في الأساس الطريقة نفسها من خلال صيرورة استنباطية، عبر الانطلاق من حالة شروط ابتدائية تبحث عن استنباط توقعات مشروطة، وفي حالة العلوم الاجتماعية فإن مبدأ العقلانية هو الذي يؤدي وظيفة القانون الكوني.

إن النموذج الأسى الذي اتخذه كارل بوبر ضمن العلوم الاجتماعية والذي تطرق له بالدراسة الاستمولوجية نجده في علم التاريخ، كما يطلق عليه تسمية التاريخية ضمن إطار أو أعداء المجتمع المفتوح فماذا يعني كارل بوبر بالتاريخ يا ترى؟

#### 4. التاريخ عند كارل بوبر:

يجب التنويه أولا إلى مجموعة الأفكار والرؤى المتعلقة بالتاريخ المستخلصة من أعمال كارل بوبر لا تمثل فلسفة في التاريخ، إنما عبارة عن تصورات واقتراحات ناتجة من الخطة الإستيمية التي وجهها بوبر لركائز التاريخية، والرفض الذي أعلنه لكل ما هو مغلق ودعواه نحو فترة التفتح في المجتمع، ولم يكتب بوبر باعتباره

ابستمولوجيا فقط، بل سعى إلى نقل اهتمامه من مشكلات العلم إلى مجالات مشكلات المجتمع والسياسة، وقاده اهتمامه بمشكلة تطور ونمو المعرفة العلمية كما سبق وذكرنا إلى نوع من النقد المزدوج للابستمولوجيا التقليدية لمناهج العلوم الاجتماعية والسياسية، وانتهى إلى أنه لا يمكننا أن نصل إلى تقدم العلم ولا المؤسسات الاجتماعية ضمن الأنساق المغلقة التي تتبنى نموذجا فيزيقيا ميكانيكيا استقرائيا مغلقا، والاعتقاد بصحة هذا المنهج في العلوم ليس سوى ضربا من الأساطير. (كارل بوبر، ترمي طريف الخولي، 2003، ص: 173)

أول شرط يضعه بوبر لكتابة التاريخ هو إعادة الاعتبار لخصوصية كل جيل من جهة مشاكله وصعوباته الخاصة وضرورة إعطائه الحق في تأطير تفاسيره، ويقول في هذا: "هذه الفترة على درجة عالية من الأهمية ذلك أنه مادام لكل جيل صعوباته ومشاكله الخاصة به ومن ثم اهتماماته الخاصة له وجهة نظره التاريخية الخاصة فإنه ينتج عن ذلك أن لكل جيل الحق في تأمل التاريخ ويعطيه تفسيرا جديدا.....".

إنه ينادي بفتح الأعين على قيمة الحرية، والمساواة والعدالة وإلغاء العنصرية والتفتح على الآخر بتقبل تعدد الآراء وتقديس الإنسانية، ويدعو إلى المنهج الإصلاحية القائم على الديمقراطية التي تعني إمكانية أي شعب في تغيير نظام ما بدون إراقة الدماء، أي تحويل الصراع بين الأفراد من الحروب إلى صراع في الأفكار من أجل تحقيق السلم والتقدم. يقول بوبر: "التقدم يعني أن نتحرك اتجاه هدف محدد، هدف يمثل بالنسبة لنا جوهرنا إنسانيا لا يمكن للتاريخ أن يفعل هذا نحن فقط بنو

البشر يمكننا فعل هذا في دفاعنا وتدعيمنا للمؤسسات الديمقراطية التي تقوم عليها الحرية ويقوم عليها التقدم". (ترجمة: الزواوب الحوار الفتوى، 2002، ص: 145).

##### 5. نماذج عن أعداء المجتمع المفتوح:

بوبر هو العدو اللدود للانغلاق والجمود وهو ما يفسر اعتراضاته على الماركسية والتحليل النفسي الفرويدي وعلم النفس الأدلري، فضلا عن انتقاداته اللاذعة للنزعات التوتاليتارية التي شرحها وفصلها في مؤلفه "بؤس التاريخانية"، والتي تعكس في مجملها أنماط الدوغمائية المتصلبة التي هي صورة مقضية إلى الذاتية ومطابقة لها بما جعله يدعو إلى تجاوز مثل هذه النزعات الداعية في عمومها إلى تسكين الأشياء في "مؤلفه المجتمع المفتوح وأعداؤه"، لأنه ببساطة هو الصديق الحميم الولهان للانفتاح بتطبيق منهج التكذيب، وبهذا يكون قد أسهم بقوة في المشروع الابستمولوجي للقرن العشرين، حيث يقوم في هذا القسم بنقد وجهات النظر التي تخالف آراءه فيما يخص علم التاريخ وينقد هذه النظريات التي دعاها بالتاريخانية، هي نظريات زائفة لا يمكن تطبيق معيار قابلية التكذيب على مبادئها أو نتائجها، وما يؤلفها هو المذهب التاريخي الذي يقوم بالبرهنة على كذبه وذلك من خلال:

1. يتأثر التاريخ الإنساني في سيره تأثيرا قويا ينمو المعرفة الإنسانية.
2. لا يمكن لنا بالطرق العقلية أو العلمية أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية.
3. لا يمكن التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الإنساني.
4. لا يمكن لنظرية علمية في التطور التاريخي أن تكون أساسا للتنبؤ التاريخي.

وقبل التطرق إلى النماذج التي رفضها بوبر في هذا نقف عند مفهوم المجتمع المفتوح الذي لا يعد شكلا لنظام سياسي أو لحكومة بقدر ما هو شكل للتعايش الإنساني الذي تكون فيه حرية الأفراد واللاعنف وحماية الأقليات وحماية الضعفاء

هي قيم أساسية تلك القيم يعتبرها بوبر أصبحت تحصيل حاصل في المجتمعات الغربية.

#### 1.4 أفلاطون المستبد:

تميز عصر أفلاطون بالفساد لهذا كان يؤمن بحدوث نقطة تحول كونية تعبر عن قانون عظيم من خلال قدراته الفكرية وإرادته الخلقية وذلك بوضع نهاية للانحلال السياسي، وهذا الاعتقاد جاء على شكل أسطورة عن طريق تأسيسه لدولة خيالية لا تتغير وهي كاملة وثابتة والذي بدوره انحرف عن عقائد تاريخية سابقا، هيرقليدس ونظرية التغيير وإحلاله الفوضى محل النظام الكوني والذي كان ناقدا لبرمينيدس. وعلم الاجتماع عند أفلاطون يتحكم فيه عاملين:

1. ارتباطه بدعاويه السياسية والأخلاقية .

2. معظم مسلماته وصفت بأنها لا تقبل الجدل.

لهذا نجد فلسفته في علم الاجتماع خاصة تركز على التأمل أو الميتافيزيقا واعتبر التغيير شرير والسكون مقدس. أن نظريته حول المثل كانت مطلبا منهجيا تسعى للعقلانية وتعد مستحيلة في وسط الأشياء الحسية. (لخضر مذبوح، 2011، ص:

(202

تظهر عظمة أفلاطون من خلال كتابه الجمهورية الذي حاول فيه إبراز سبب سقوط المجتمع الإنساني وكيفية تطور الحكومة، كما أعطى من الناحية السياسية تصنيفا منطقيا لأنماط الحكم من خلال سؤاله حول النموذج الأصلي للدولة؟ والجواب هو التأمل في نمو الدول على اعتبارها تتغير اتجاه الخير أو الشر.

يرى أفلاطون أن أساس الصراع منبعه الصراع الداخلي للمصلحة الشخصية وقام بتطبيق هذه الصراعات على شكل معالم أدت للانحلال السياسي: هي الدولة الديمقراطية، والدولة الأوليغارشية، ومولد الديمقراطية (حكم الحرية) وعدم الخضوع للقانون، والحكم الاستبدادي.

هذه المحاولة أحيائها روسو ودعا كونت ومل وهيجل وماركس إلى إحيائها بأسلوب جديد. إن الدولة الأولى تتفكك بسبب طموحها وتأسيس الدولة الثانية نشأت الحروب بين الطبقتين الغنية والفقيرة، وتسفر هذه الحروب عن ولادة الديمقراطية المفعمة بالحيوية، والانتقال من النظام الديمقراطي إلى الاستبدادي يكون عن طريق قائد شعبي يعرف كيف يشعل التنافر الطبقي القائم بين الغني والفقير في ظل الديمقراطية، وينجح في تشكيل جيش خاص يدين له بالولاء، والناس الذين هللوا له سرعان ما ينقلبون ضده تحت اسم العبودية لهذا يقومون بإشعال نيران الحرب كي يجعلوا الناس يشعرون أنهم بحاجة إلى قائد عام، وفي الحكم الاستبدادي تصل الدولة لقمّة الدناءة. (لخضر مذبوح، 2011، ص: 77)

#### 2.4 نقد بوبر لأفلاطون:

يرى بوبر أن الاستبداد والطغيان الذي تصل إليه الدولة تزامن مع مجيء الأفكار التاريخية الأولى والذي كان مع فلاسفة الإغريق القدامى أمثال أفلاطون وهيراقليدس، حيث رسم الأول صورة مستقرة للعالم على أساس أن كل التغييرات التي يمكن إدراكها في الكون بما فيها التغييرات الاجتماعية ظواهر فساد وانحطاط ويجب إيقاف ذلك بكسر كل تغيير سياسي، أي يمكن كسر هذا التغيير ووضع نهاية لعملية الانحطاط بقانون التطور التاريخي، الذي يسير خلاله المجتمع مغمض العينين في خطى ثابتة مستقرة لكن مع هيراقليدس، لم يعد العالم صرحا كبيرا رائعا

ولا هو ذلك البناء المستقر، إنما هو عملية هائلة من التغيير المستمر سواء في الطبيعة أو في المجتمع، ومن هذا المنطلق جاءت محاولات أفلاطون التي سبق ذكرها وفلاسفة آخرون لإيجاد قانون يمكن من خلاله التحكم بهذا التغيير. (كارل بوبر، تر، حسام نايل، 2015، ص: 284)

وكانت المحاورات الأفلاطونية مثل "الجمهورية" و"رجل الدولة" و"القوانين" التي جاءت على لسان سقراط، حيث عالج المسائل الاجتماعية والسياسية، بمثابة وصف لتطور المجتمع بشكل تأثر به الكثير من بعده بقرون أمثال كونت، وميل، وبعدهما هيغل وماركس، ووفقوا للاستقرارية ظننا منهم أنها حقا تقوم على قانون للتقدم التاريخي، حيث رأى أفلاطون في سعيه لفهم وتفسير الثورات السياسية في واقعه المعاش بأن الأشكال المختلفة التي كان يتخذها آنذاك البناء الاجتماعي مجرد صور منحطة أو مشوهة. (كارل بوبر، تر، حسام نايل، 2015، ص: 285)

وينطلق بوبر في دراسته النقدية لآراء أفلاطون السياسية وإثبات تهاافتها التاريخي دائما بتحليلها ثم دحضها كما عودنا منهجه في المناقشة النقدية، حيث يرى في هذا التحليل أن الدولة المثالية في جمهوريته تعمل على إرضاء الحاجيات الجماعية وعلى حسب خصائصه الشخصية التي كان أفلاطون قد حددها، وبالتالي فالمجتمع هنا بهذا الاعتبار مقسم طبقا لقانون تاريخي إلى عدة طبقات تتركب الروح الجمعي للدولة تماما مثل قسمة الأعضاء وكأن كل فرد في الدولة خلق فقط ليبقى على ما تحدد له.

في الدولة الأفلاطونية نجد طبقة العمال بمستوى أدنى شهواني لا تنفك عن المادة، مقدر لها أن تعمل على إشباع الحاجيات المادية للمواطنين ثم طبقة الجنود

ذوي الروح الغضبية مهمتهم الدفاع باستماتة عن المدنية، أما الحاكم صاحب الروح العاقلة فيقف في أعلى السلم وواجبه إدارة الحكم في الدولة والعمل على تعليم المواطنين ما يجب عليهم فعله حتى يحاكون بذلك الدولة المثالية التي توجد في المثل الأفلاطونية بل وتتناهى مع طبيعة الإنسان العقلانية. (كارل بوبر، تر ، حسام نايل، 2015، ص: 285)

انطلاقاً من آراء بوبر يمكن القول أن هذا المشروع الهادف إلى التغيير الجذري نموذج ربما يتوفر على الكثير من الثغرات على الأقل في اختزاله للروح التنافسية والإبداعية وذوبانها في الروح القصيرية الجمعية وعرقلة لتقدم المجتمع بمقاومته للديناميكا الاجتماعية فضلاً عن غياب الديمقراطية.

وبذلك فأفلاطون في رأي بوبر يهدف إلى تحقيق المساواة في غياب الحرية، وطبعاً تكون الأولى نتيجة عملية مباشرة للثانية فما أسهل أن تحقق المساواة بين العبيد خصوصاً عبيد الأفكار أو العقول.

لم يكن هدفه من نقد برنامج أفلاطون ليبين أنه يستحيل تحقيق أهدافه أو حتى محاولة التفكير في نتائجه على الواقع لأن عمقه واضح لأي رؤية عقلانية، ولكن ليحذر من الوقوع ضحية التسلط الفكري لهؤلاء الفلاسفة الذين سيدهم التاريخ باعتبارهم بعيدين عن الخطأ أو الزلل.

يمكن القول أن فلسفة أفلاطون في السياسة عامة وفي حركية المجتمع استبدادية، وذلك من خلال وضعه لقوانين تسيطر كيفية فهم وظائف كل طبقة وكل دولة قائمة والتي سبقتها والتي تليها، وبهذا نجده وضع قوانين كلية ثابتة لا يمكن الشك فيها.

لكي يبقى أن بوبر من أجل توضيح استبدادية أفلاطون في المجال السياسي ركز على فكرة السعادة بعدما أشار للأفكار الأخلاقية كالعدالة والحكمة والحق والجمال، والتي أراد من خلالها إثبات أن السعادة الحقة لا يمكن تحقيقها إلا بالعدل، فالحاكم يجد السعادة في الحكم والمقاتل في القتال، فهو يهدف لسعادة الجميع وهذه الفكرة بالذات دليل على الاستبدادية، وثنائه على الحرية كان مقابلا للطغيان، وحقيقة هذا الأخير في عصره أنه كان شكلا من أشكال الحكم يستند لدعم الجماهير.

#### 3.4 جدل هيغل الدغمائي:

النموذج الثاني الذي قدم له كارل بوبر نقدا لاذعا هو نموذج جورج فريديريك هيغل ذو النزعة المثالية الذي كان مهتما بدراسة التاريخ والآداب اليونانية واللاتينية، حيث يرى أن الفكر أساس الوجود أو الفكرة أساس الوجود أو الفكرة أساس كل وجود، كما أخذ هيغل التاريخ إلى الأفكار فهي التي تسيّر التاريخ وتحدد مساره. يقوم فكره على فكرة الثنائية وهو بذلك يشبه الفيلسوف الفرنسي ديكارت صاحب فكرة الكوحيثو وثنائية الفكر والوجود، وتجدر الإشارة هنا أن لكل فلسفة منطقها الخاص، فإذا كان المنطق الصوري التقليدي هو الأساس الذي قامت عليه فلسفة أرسطو فإن للفلسفة الهيجلية منطق مغاير تماما يتمثل في المنطق الجدلي، أو الجدل الذي يعبر عن الصراع والتناقض. ويتكون هذا المنطلق من ثلاث مقولات هي: الوجود، والعدم، والصورورة، وبصيغة أخرى الموضوع، النقيض، والمركب. (عمر فروخ، 1984، ص: 20)

تبرز فلسفة التاريخ عند هيغل كأهم فلسفات التاريخ التي شهدتها العصر الحديث وقد جاءت هذه الفلسفة تطبيقاً لمبادئ فلسفته العامة القائمة على التأمل العقلي المنطقي، وعلى هذا الأساس يؤكد هيغل على أن العقل هو الذي يحكم التاريخ ويحدده مساره وفي ذلك يقول: "إن ذلك العقل هو سيد العالم بلا منازع وأن تاريخ العالم يقدم إلينا من ثم عملية عقلانية". (ألبان جويد جري، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، 1972، ص: 169)

وهنا تظهر النزعة المثالية المفرطة عند هيغل خلاف ابن خلدون الذي كان واقعيًا في تناوله لحوادث التاريخ، وهيغل بمثاليته هذه يكون قد ابتعد عن واقع الأحداث الذي يشكل المحور الذي يدور حوله تفكير الفيلسوف، وعليه يمكن القول أنه لم يلتزم بأحد فهو يرى أنه يمكن أن ننظر لفلسفة التاريخ بمنظورين أساسيين هما أولاً جعلها دراسة لمناهج البحث أي لطرق المؤرخين في كتابة التاريخ والثاني، من خلاله وجهة نظر الفيلسوف حول مسار التاريخ ككل. (رأفت الشيخ، 2000، ص: 155)

أما عن مناهج التاريخ عند هيغل فهي ثلاثة أقسام وهي: تاريخ أصلي، تاريخ نظري، تاريخ فلسفي.

فالتاريخ الأصلي: هو ما يكتبه المؤرخ عن أحداث عاشها في عصره، والمؤرخ هنا ينقل ما يراه أمامه أو ما سمعه من الآخرين كما هو، ويضرب هيغل أمثلة عن ذلك بما كتبه هيروودوت وثيوكديس وبوليوس قيصر عن حروبهم من الغالبيين، وما كتبه رهبان العصور الوسطى عن حوادث عاشوها وشهدوها.

أما التاريخ النظري: فهو ما كتبه المؤرخ عن غيره، حيث لا يقف هنا عند أحداث عصره بل يتجاوزها إلى تاريخ أمم أخرى وعصور مختلفة، يضطر لجمع المادة التاريخية من مصادر يصنفها ويفسرها. يقول هيغل: "إن المؤرخ في هذه الحالة

يتخطى عصره وزمانه إلى عصر و زمان آخرين فيجمع المادة المسيرة له عن العصر الذي يريد الكتابة ..... ثم يبورها وينسق بين تفاصيلها ثم يروها في نسق". ويرى أن طرق كتابة التاريخ النظري تنقسم إلى أربعة أنواع هي: رواية الأحداث كما هي، التاريخ العملي، التاريخ النقدي.

أما عن التاريخ الفلسفي فهو دراسة التاريخ من خلال الفكر خاصة أن التاريخ يدور حول الإنسان الذي أبرز ما يميزه عن غيره من الموجودات الفكر أو العقل أي أن أهم ميزة يتميز بها الإنسان هي الفكر أو الوعي أو الروح، كما يعبر عن ذلك هيغل، والذي يؤكد أن التاريخ الحقيقي للإنسان لا يبدأ إلا مع ظهور الوعي، والمجتمعات البدائية التي يغلب عليها التفكير الأسطوري لا تمثل جزءا من تاريخ الإنسان.

إن ما يقدم كتنقد لفلسفة التاريخ عند هيغل من طرف بوبر بعد استعراضا لأهم الخطوط العريضة لفلسفة التاريخ عنده، ويمكن القول أنه أعطى أهمية بالغة للعقل في التاريخ وكذا الدين، إلا أن التفسير الذي تقدم به للحوادث التاريخية ميتافيزيقي ومغرق في التجريد الأمر الذي جعله بعيدا عن الواقع في الوقت الذي يقوم فيه العلم على الروح الوضعية التي تتطلب الالتزام بالواقع عند دراسة الظاهرة، وهذا ما تأكد لدى ابن خلدون الذي كان واقعيًا في تفسيره للتاريخ رغم تأكيده على المعقولية في التاريخ.

يتضح أن هيغل كان بعيدا عن الموضوعية ويظهر ذلك من خلال حكمه على بعض الشعوب خاصة الشرقية التي وصفها بافتقارها للحرية، كما أنه اعتبر أوروبا قديما وحديثا هي محور التاريخ الأمر الذي يضعف قيمة نتائجه منهجيا وفلسفيا،

كما أن نسق مذهبه كان مغلقا، وذلك عندما رأى أن مسار التاريخ يتوقف عند الدولة الألمانية.

#### 4.4 النبوة الماركسية:

يعتقد ماركس أن الإنسان شيء في الطبيعة وكتلة ذات ثلاثة أبعاد من اللحم والدم والعظم تنطبق عليها قوانين الطبيعة التي اكتشفها العلوم، كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية الأخرى، وقد أنكر وجود روح لا مادية ووجود جواهر روحية من أي نوع، وبالتالي أنكر الله واعتبر اللاهوت والميتافيزيقا أسجة من الأكاذيب تحاول أن تغتصب مكان العلوم الطبيعية التي تستطيع وحدها أن تقدم حلولاً لكافة مسائل الواقع، ومن بينها القوانين التي تتحكم في تطور الأفراد والمجتمعات ومن هنا تكون المادة هي كل الموجود، فالمادية الجدلية التاريخية تقوم وترتكز على هذه المادة ومن هنا جاء وصف مذهبه بـ"المادية التاريخية" فإذا بدت الماركسية اليوم وخصوصاً أعمال ماركس وكأنها تجاوزتها الأزمنة فلا بد من أن نعتزف بأن الماركسية طبعت عصراً كاملاً بطابعها وأثرت على أحداثه في المجال الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي ...، وهناك عدة دول في العالم وخصوصاً الاتحاد السوفياتي سابقاً كانت قد تبنت الماركسية كعقيدة وكنظام حكم، ويبقى كارل ماركس بالنسبة للكثيرين نبياً من أنبياء التاريخ (لحاج، كميل، 2000، ص: 515).

حيث اعتبره بوبر شكلاً من أشكال التاريخانية بصورة متطورة بحيث نلتمس فيه دافع إنساني بمحاولته تطبيق مناهج عقلانية على المشكلات المؤرقة في الحياة الاجتماعية حتى ولو لم تنجح على أرض الواقع، لكن يبقى أن العلم لا يتقدم إلا بالخطأ والتجربة، لهذا يمكن أن تشهد على ماركس حسب بوبر بانفتاحه العقلاني وإحساسه بالواقع ورغبته في مساعدة المقهورين بالعمل وليس بالأقوال فقط، ولهذا

اهتم بالفلسفة الاجتماعية من الناحية العلمية، لكن هذه الأخيرة جعلت منه نبيا على حد قول بوبر والذي يقصد منه أنه أخذ يتنبأ بتنبؤات لمسيرة التاريخ وهو ما جعله ينتقده ويدينه باعتباره مسؤولا عن التأثير المدمر للمنهج التاريخاتي في الفكر داخل صفوف من أرادوا رفع شأن المجتمع المفتوح وإعلاء قيمته. (كارل بوبر، تر ،

حسام نايل، 2015، ص: 133)

ويمكن حصر الفلسفة الاجتماعية لماركس في النقاط التالية: نظرية تاريخية خالصة تهدف للتنبؤ بالتطور المستقبلي للاقتصاد والسياسة والثورات، إن فلسفة ماركس تهدف إلى تأكيد وظيفة العلم التنبؤية ويظهر ذلك في قوله في كتاب رأس المال: "حينما يكشف مجتمع القانون الطبيعي الذي يحدد حركته فلا يمكن عندئذ تجاوز مراحل تطور الطبيعة ولكن بوسعه القيام بالكثير فيمكنه تقصير وقت آلام ولادته والتخفيف منها". (كارل بوبر، تر ، حسام نايل، 2015)

معنى هذا القول أن وجهة ماركس خاصة بين النظرية الاشتراكية والممارسة نظرة تاريخية بحتة، وهذه العلاقة تتجسد من خلال إصدار تحذيرات أثناء انحراف الممارسات العملية.

في حين على حسب بوبر يجده يهتم بالجانب السوسولوجي والمنهجي وفكر المادية المتجسدة في فلسفته، يعتبره بوبر اعترافا واضحا بثنائية الجسد والعقل في إطار علمي، ومن الناحية النظرية يجد أن ماركس اعتمد العقل صورة للمادة لذا يقول بأن المثل الأعلى ليس سوى المادية حين تنقل وترجم داخل رأس الإنسان. (كارل بوبر، تر ، حسام نايل، 2015، ص: 162). رغم إقرار بوبر وإعجابه بصدق وإخلاص

ماركس في نواياه الإنسانية في تحرير المستضعفين ومناهضته لكل أشكال الاستلابات التي يتعرضون لها جراء الاستغلال والهيمنة الرأسمالية وما تفرزه من أنماط إنتاج وتوزيع وتبادل وتشريع وثقافة، رغم اعترافه بعبقريته في تحليل مؤسسات المجتمع الرأسمالي ونفاذه إلى عيوبه الرئيسية وإدراكه لنتائجه الحسابية على حياة غالبية الطبقة العمالية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية حتى، إلا أنه لا يساير ولا يقبل حلوله اليوتوبية فلقد حظي ماركس بنقد بوبر بمنزلتين منزلة الفيلسوف الاقتصادي والاجتماعي، إذ يعترف له بالأصالة والعمق وبعد النظر والاستنتاج الذكي لكنه عندما يبني من نتائج تحليلاته هذه برنامجا يوتوبيا منحه صفة العلمية هنا يتحول عند بوبر إلى نبي مزيف يجب أن تؤخذ آراؤه مأخذ نقد لا يرحم.

## 5. خاتمة:

في الأخير يمكن القول أن بوبر قدم فعلا قراءة إبستيمية فريدة من نوعها من خلال الوقوف على فكر أكبر المفكرين والفلاسفة، وهذا لا يدل أبدا على التقليل من شأنهم إنما هو دفاع يقيني بأن حضارتنا يجب أن تبقى وتستمر بعيدا عن كل ما هو مزيف وما يدعي النبوة الزائفة، وأنه فعلا أفلح عن عادة الدفاع الأعمى عن أولئك المفكرين العظماء الذين تألهاوا لفترة طويلة من الزمن، فهؤلاء الرجال بحسبه ليسو معصومين من الخطأ ويعتبر كما سبق وذكرنا كتابه الرئيس في هذا ونعني "المجتمع المفتوح وأعداؤه" مدخلا نقديا إبستمولوجيا لفلسفة السياسة والتاريخ، حيث قدم فيه نقدا للفلسفات الاجتماعية المسؤولة عن التحيز واسع الانتشار ضد إمكانية الإصلاح الديمقراطي وأكثر هته الفلسفات قوة هي التي أطلق عليها اسم التاريخانية، ولكي يتخلص التاريخ من هذا التحريف والزييف والكذب لابد من إخضاعه للمنهج

العلمي وتناول قضاياها من منظور علمي موضوعي وهذا ما قدمه لنا بوبر بحثا عن عالم أفضل.

## 6. قائمة المراجع:

1. باتريك هيلي، تر، نور الدين شيخ عبيد. (2008). صور المعرفة مقدمة لفلسفة العلم المعاصر. بيروت لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى.
2. ترجمة: الزواوب الحوار الفتوى. (2002). كارل بوبر، الحرية والمسؤولية. مخبر الدراسات التاريخية، جامعة قسنطينة، العدد. 04, 145.
3. كارل بوبر، تر، إبراهيم العريس. (1992). التسامح بين الشرق والغرب. بيروت لبنان: دار الساقى، الطبعة الأولى.
4. ألبان جويد جري، تر: عبد العزيز توفيق جاويد. (1972). التاريخ وكيف يفسرونه. القاهرة مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
5. رأفت الشيخ. (2000). تفسير مسار التاريخ. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. 155،
6. روني بوقريس، تر، سعيد بوخليط. (2005). العقلانية النقدية عند كارل بوبر. المغرب: إفريقيا الشرق المغرب.
7. عمر فروخ. (1984). كلمة في تحليل. بيروت لبنان: دار العلم للملايين.
8. فولتير، تر، هنريت عبودي. (2000). رسالة في التسامح. دمشق: دار بتر.

9. قيس محمد حامد علي. (2000). التمييز بين العلم واللاعلم في فلسفة بوبر . السودان :قسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الخرطوم.
10. كارل بوبر، تر ، احمد مستجير . (1999). بحثا عن عالم أفضل .القاهرة مصر :الهيئة المصرية للكتاب ،د.ط.
11. كارل بوبر، تر :يمنى طريف الخولي .(2003). أسطورة الإطار .كويت :عالم المعرفة.
12. كارل بوبر، تر ، حسام نايل .(2015). المجتمع المفتوح وأعداؤه، ج 2.القاهرة مصر :دار التنوير، الطبعة الاولى.
13. كارل بوبر، تر ، ماهر عبد القادر محمد علي). بدون تاريخ .(منطق الكشف العلمي .بيروت لبنان :دار النهضة العربية.
14. كارل بوبر، تر :، ماهر عبد القادر محمد علي). بدون تاريخ .(منطق الكشف العلمي .بيروت لبنان :دار النهضة العربية.
15. كارل بوبر، تر :السيد نفادي .(2000). المجتمع المفتوح وأعداؤه، ج 1.القاهرة مصر :دار التنوير، الطبعة الأولى.
16. كارل بوبر، تر :عبد الحميد صبرة .(1992). بؤس الإيديولوجيا، نقد مبدأ الأنماط التاريخي .بيروت لبنان :دار الساقى، الطبعة الاولى.
17. لحاج ,كميل .(2000). الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي . لبنان بيروت.
18. لخضر مذبوح .(2011). فلسفة كارل بوبر .قسنطينة الجزائر :دار الألفية، الطبعة الاولى.

19. محمد محمد قاسم). بدون تاريخ. (كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي. مصر: دار المعرفة الإسكندرية.
20. ناصر هاشم. (2015). المدخل إلى فلسفة العلوم. بيروت لبنان: دار الجوهرة، ط.1.
21. نجيب الحصادي ( بدون تاريخ. (ليس بالعقل وحده. ليبيا: الدار الجماهيرية، دط.
22. ول ديورانت، تر، فتح الله محمد المشعشع. (2014). قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي. بيروت لبنان: مكتبة المعارف.
23. يمى طريف الخولي. (2012). فلسفة العلم في القرن العشرين. القاهرة مصر: مؤسسة هنداوي، بدون طبعة.